اسم المصدر: عكاظ / ملحق خاص - مناسبات

التاريـــخ: 12-12-2009 رقم العـدد: 15813 رقم الصفحة: 16 مسلسـل: 28 رقم القصاصة: 1

سلطان .. نُضج في التفكير السياسي ونزوع للأعمال الإنسانية

تفكير الأمير سلطان يرتكز على ما أقره العلم بأن الإنسان كائن اجتماعي حي

المملكة تمكنت من الصمود ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية

اكتسب نظام الحكم في المملكة الاستمرارية بفعل العدل والشورى

الأمير سلطان أدخل إنجازات مهمة إلى الحرس الملكي

ينتمي فكر سلطان بن عبد العزيز إلى مدرسة التفكير الإسلامي

اسم المصدر: عكاظ / ملحق خاص - مناسبات

التاريـــخ: 12-12-2009 رقم العـدد: 15813 رقم الصفحة: 16 مسلسـل: 28 رقم القصاصة: 2

أحاول هنا التعرف على فكر الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، مستعينا في ذلك برصد نماذج من أعماله، ومحاولة وضع رؤية له عنها، وهو الرجل الذي استلهم تفكيره ونبله من مدرسة والده الملك عبد العزيز منذ أول مسؤولية قلده إياها وهي: رئاسة الحرس الملكي السعودي (١٣٦٢ - ١٣٦٦هـ) وما تلاها من أعمال.

وأحاول ربطها بالنظريات العملية للتفكير من حيث أهميته والمفاهيم والألفاظ المساعدة في زيادة فهمه ووضوح رؤيته من ناحية، والتواصل المعرفي مع فكر «سلطان» من ناحية أخرى، لكون تفكيره هو أداة تواصله مع الآخرين، مستحضرا في هذا البحث مجموعة العوامل التي اتسمت بها سيرته ومسيرته، النابعة من ذهنه، بما جعله مخزونا من المعارف والعلوم، تقتضي فهمها من زاوية النظر إليها وعلاقتها بالواقع والبيئة المحيطة به سياسيا، واجتماعيا، وثقافيا، وعسكريا.

ولا أزعم أنني أؤرخ لسيرة هذا الرجل ومسيرته، ولا أزعم أنني محلل سياسي، أسبر أغوار ما قدم ويقدم من رؤى وأفكار، كلما تنبه «سلطان» إلى ضرورة تحديد ماهية الأشياء وتدويرها في ذهنه إلى أن يتخذ قرارا بشأنها بعد تروٍ وتأنٍ يكادان لا يتوفران إلا عند أولي العزم من الرجال، ولكني لا أعدو أن أدون رؤيتي الخاصة، وتحليلي الشخصي من خلال ما أقدم من نماذج.

انتماء الأمير سلطان الفكري

ينتمي فكر سلطان بن عبد العزيز إلى مدرسة التفكير الإسلامي التي تضم الآراء والمبادئ والأفكار لمجموعة بشرية معينة من المسلمين، منذ أن نشأ لهم مجتمع سياسي، وتألفت للإسلام دولة منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حتى العصر الحالي.(١)

وانطلاقا من هذا الفهم يمكن القول: إن تفكير الأمير سلطان بن عبد العزيز، مستقى من القرآن الكريم وسنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه الخلفاء الراشدون، والتابعون، وأئمة المسلمين الذين تزخر أفكارهم بحقول من المعرفة، فضلا عن القضايا الإنسانية وذلك ما تبدى في أعماله، التي يأتي الحديث عن نماذج منها فيما بعد.

عوامل تفكيره

إذا كان الفكر -كما رأى بعض اللغويين- مقلوبا عن الفراك، إلا أن هناك عوامل مساعدة تؤدي إلى ظهوره، بحيث تتسم به حياة من يفكر ويرسم ويخطط ولعل التحليل الاجتماعي لتفكير «سلطان بن عبد العزيز» في سياقه الاجتماعي والتاريخي ومن حيث مدى عمقه في النظام الاجتماعي والاقتصادي السعودي، إنما يرتكز على عوامل بعيدة عن الصراع وقريبة مما توصل إليه علم الإجتماع الحديث، بأن الإنسان في جوهره كائن اجتماعي حي:

ويمكن إجمال عوامل تفكير الأمير سلطان بن عبد العزيز في:

أولا: اتصاله الفكري والسياسي والاجتماعي بوالده (الملك عبد العزيز) بعد سنوات من ولادة «سلطان» عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) من الأميرة حصة بنت أحمد بن محمد السديري.

ثانيا: ثقافته التي تعتمد على المنهج الإسلامي، ومن ثم على ما يقرأ، ويطالع ويتابع من قضايا تخص الشأن السعودي العام من جهة، والعرب والمسلمين والمجتمع الدولي من جهة أخرى، لذلك انطلق مدركا أبعاد الصراع السياسي وخفاياه، وبدأ الدخول إلى عقول الناس وتفكيرهم، مبتعدا عن التناقضات الاجتماعية، وحريصا على علاقات قوية مع المواطنين، مقتنعا بأن الدولة الحديثة، لها

اسم المصدر: عكاظ / ملحق خاص - مناسبات

التاريخ: 12-12-2009 رقم العدد: 15813 رقم الصفحة: 16 مسلسل: 28 رقم القصاصة: 3

قدرات وطموحات لبناء المواطنين في الداخل والتعاون تعاونا ندبا مع الآخر.

ثالثا: حرصه منذ أن أسندت إليه وزارة الزراعة والمياه (١٣٧٢ ـ ١٣٧٥هـ) على الأخذ بالمنهج التنموي، رغم محدودية موارد الدولة آنذاك، وندرة القوى البشرية القادرة على حمل رسالة التنمية ومسؤوليتها، ولكنه كان مقتنعا بأن الدولة ظاهرة مرتبطة بنشوء المدينة، وقيام المجتمع وأخذ مصالحه بالدرجة الأولى.

رابعا: حرصه على ضرورة ضبط العلاقة بين مفهومي: الشرع والفقه من جهة والفكر بعامة، وبخاصة الفكر السياسي، فضلا عن الفكر السياسي الإسلامي والإصلاحي من جهة أخرى.

خامسا: استشهاده بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، فيما يلقيه من خطب وكلمات في المناسبات العامة والخاصة، إلى جانب ما أنتجته الحضارة المعاصرة من أساليب في مخاطبة الناس.

ولو شاء المرء أن يسوح في عوامل تفكير الأمير سلطان بن عبد العزيز، لأعياه الرصد، ولعجز عن التحليل.

تفكيره السياسي

السياسة عمل ذهني عقلي مرتبط بذات الإنسان. وقد تناولت الكثير من كتب التراث مفهوم الفكر السياسي مشيرة إلى أنه «عملية تنتهجها القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلبا أم روحا أم ذهنا بالنظر والتدبر لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة». (٣)

وعلى هذا النحو تمكنت المملكة العربية السعودية منذ نشأتها وتطورها على امتداد ٨٠ عاما، من الصمود ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية، واكتسب نظام الحكم فيها الاستمرارية بفعل: العدل والشورى ونزاهة القضاء وتعليم الإنسان وتنميته وتطبيبه، ورعايته اجتماعيا وثقافيا، ومطالبة قادة المملكة ومنهم الأمير «سلطان» المسؤولين في الحكومة بالإخلاص في العمل، والدقة في القول والاتقان في الخدمة، والوصول بالخدمات العامة التي يطمحون إليها إلى أعلى معدلاتها، بعد أن رصدت الدولة مليارات الريالات للإنفاق عليها.

ومنذ أن توحدت المملكة (١٣٥١هـ/١٩٣٣م) استلهم «الأمير سلطان» المعاني التي تنطوي عليها عملية الوحدة سياسيا وجغرافيا، مؤكدا أهمية الأسباب البيئية التي أدت إليها، والتركيز على عدم الانقسام الطبقي أو الفئوي، لاقتناعه بأنهما من أخطر ما يواجه الوحدة السياسية للمجتمع

السعودي. فوظيفة الدولة في نظره، استثمار إنتاجها وخيراتها، لترسيخ المواطنة عند الناس، وتلاحمهم مع قيادتهم، والمحافظة على منجزاتهم. وهنا تكمن المعادلة السياسية الممكنة التحقيق مما ساعد تدريجيا على بلورة الوعي العام السعودي، بحيث أضحى في صميم النظام السياسي السعودي.

تفكيره الإداري

أسهم «الأمير سلطان بن عبد العزيز» منذ وقت مبكر في إدارة مؤسسات المجتمع السعودي، وكانت أولاها -كما سبقت الإشارة- رئاسته للحرس الملكي (١٣٦٢ ـ ١٣٦٦هـ) ثم إمارة منطقة الرياض (١٣٦٦ ـ ١٣٧٢هـ) فمسؤولية وزارة الزراعة والمياه (١٣٧٢ ـ ١٣٧٥هـ) فوزارة المواصلات (١٣٧٤ ـ ١٣٨٠هـ) فوزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة (١٣٨٣هـ حتى الآن) فنائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء (١٤٠٢ ـ ١٤٢٦هـ) فوليا للعهد ونائب رئيس

اسم المصدر: عكاظ / ملحق خاص - مناسبات

التاريخ: 12-12-2009 رقم العدد: 15813 رقم الصفحة: 16 مسلسل: 28 رقم القصاصة: 4

مجلس الوزراء (١٤٢٦هـ حتى الآن)، والذين اطلعوا على الفكر الإداري للأمير «سلطان بن عبد العزيز» وتابعوا مسيرته الإدارية، يكتنزون كثيرا من السمات الإدارية له، وهذه نماذج من تفكيره الإداري كما أراها:

أولا: حين عهد إليه الملك عبد العزيز برئاسة الحرس الملكي «أدخل إنجازات طيبة وممتازة، وبعد المؤسس الحقيقي له، فتفاجأ الملك والأمراء بالحرس الملكي، وقواعده الممتازة، فحصل على عدة تقديرات من: الملك وولي العهد، وبعض الأمراء». (٣)

ثانيا: عندما عين أميرا لمنطقة الرياض «تطورت في عهده الرياض تطورا أسرع (٣١ في المائة) من الفترة من عام ١٣٥٤هـ حتى ١٣٦٥هـ، فقام بفتح أبواب الرياض، وبناء أسواقها وتوسعتها، وإعطاء المال للمحافظات الصغيرة مثل: الغاط، تبع ذلك إنشاء مصالح جديدة، وهدم بعضها، ونقل أماكنها». (٤)

ثالثا: بانتقاله إلى وزارة الزراعة والمياه، فكر في البحث عن مصادر جديدة للمياه، وتاميينها في المدن والقرى والهجر وإيلاء الزراعة ما تستحقه من اهتمام، مما ساعد على نمو الوعي بالزراعة، واستطاع تحويل المجتمع السعودي من مجتمع صحراوي إلى مجتمع زراعي الى حد ما.

رابعا: بتسلمه وزارة الدفاع والطيران أسهم في تعزيز القدرات العسكرية للقوات المسلحة السعودية وزودها بالأسلحة الخفيفة والثقيلة، وعزز الأسطول الجوي السعودي (الطيران المدني) وانشأ المعاهد والكليات والأندية العسكرية، ومن ثم المدن العسكرية في معظم مناطق المملكة.

خامسا: عندما عهد إليه بمنصب النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، أنكب مع أخيه الملك «فهد بن عبد العزيز» رحمه الله على وضع سمات رئيسية للمملكة ومجتمعها وعلاقاتها محليا وإقليميا وعربيا وإسلاميا ودوليا لخدمة مصالحها، وعدم الإكراه في الدين، والإيمان بحق الإنسان في الحياة، ووضع حلول للمشكلات السياسية، والاقتصادية، المستقاة من أرض الواقع الاجتماعي، حتى أضحى هذا المفهوم قاسما مشتركا بينه وبين أخيه الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله.

سادسا: مكنته ولاية العهد، والنيابة الأولى لرئيس مجلس الوزراء (١٤٢٦هـ حتى الآن) من الإسهام مع أخيه الملك عبد الله بن عبد العزيز، في أن تقطع المملكة العربية السعودية ومجتمعها أشواطا بعيدة المدى في التنمية بمفهومها الشامل، فأقامت المزيد من المدارس، والمعاهد، والكليات، وافتتحت جامعات جديدة من أهمها: جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية في «ثول» وتطور التعليم الفني والعناية الصحيتين، وتم بناء الوحدات السكنية، وظهرت أنظمة جديدة للمجتمع السعودي، وتعزز دور مجلس الشورى في الحياة الشورية (البرلمانية) وتطورت البنية القضائية السعودية، والشؤون الاجتماعية، وبدأ الحوار الوطني، واتسع نطاق المدن الاقتصادية.

تفكيره الخيري الإنساني

من السمات الرئيسية للأمير سلطان بن عبد العزيز، نزوعه إلى الأعمال الخيرية الإنسانية، حتى لا يكاد يذكر عمل خيري إلا ويقترن به، ويحس الإنسان بأحاسيس أخيه الإنسان، كلما أصابه ضر، وكلما تعرض لحاجة بدى من الممكن قضاؤه، وهذا ما يميز شخصية «سلطان بن عبد العزيز» الذي يفزع للإنسان عند الملمات، فيمسح أحزانه، ويضمد جراحه، وهو تفكير مطلوب في ذهن «سلطان» يصل من خلاله إلى معرفة المطلوب، والتفتيش في مخزنه المعلوماتي، من أجل التوصل إلى حل المشكلات التي يواجهها الإنسان.

وفي سبيل ذلك، فكر الأمير «سلطان بن عبد العزيز» في إنشاء:

أولا: مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية هي مؤسسة خيرية إنسانية، وصفها سموه بأنها «عمل خيري وإنساني نتشرف بالقيام به لوجه الله تعالى، ويتطلب منا بذل الجهود الصادقة، والمخلصة، وتسخير كل الإمكانات ليؤدي هذا العمل النتائج الإنسانية المرجوة منه» (٥)

فيما أعلن الأمين العام للمؤسسة (الأمير فيصل بن سلطان بن عبد العزيز) أنها تخطو بكل عزم واجتهاد، لتحقيق أهدافها السامية، مستشعرة المسؤولية الكبيرة، الملقاة على عاتق منسوبي المؤسسة وفروعها، لتقديم كل جهد صادق ومخلص، للقيام بواجبنا ومسؤولياتنا، وصولا إلى تحقيق الخدمات المتميزة والمأمولة من هذا الصرح الرائد. (٦)

أهداف المؤسسة

تتوخى مؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية تحقيق الأهداف التالية:

١ - توفير الرعاية الاجتماعية، والصحية والتأهيل الشامل لذوي الحاجات الخاصة وكبار العمر (المسنين) من الجنسين، أو أي حالات أخرى يرى مجلس الأمناء شمول الخدمات لها، وفقا للشروط التي تحددها اللائحة التنفيذية.

٢ - إيجاد دور للنقاهة، والتأهيل، والتمريض، وتوفير الإمكانات البشرية، والتجهيزات العملية والإكلينيكية، على مستوى من الكفاءة والقدرة.

٣ - العمل على نشر الوعي، بضرورة استخدام وسائل ومستلزمات الرعاية المنزلية، والاجتماعية لذوي الحاجات الخاصة، وكبار العمر (المسنين) والمساعدة على توفيرها كلما تطلب الأمر ذلك، وكذلك نشر الوعي للتعرف على المظاهر المبكرة للشيخوخة، والعجز البدني، والعقلي، بشكل يحول دون حصولها أو التقليل منها بالوسائل المناسبة.

٤ - توفير الأجهزة التعويضية والمساعدة، التي تساعد ذوي الاحتياجات الخاصة، وكبار العمر، على التكيف مع ظروفهم، ومحاولة وضع الإمكانات والوسائل المساعدة كافة، لتجعلهم في وضع سوي، أو على الأقل التخفيف من معاناتهم، حتى تتهيأ لهم سبل المشاركة في الحياة، مع غيرهم من الأصحاء.

٥ - توفير الإمكانات اللازمة لإجراء الأبحاث في مجال: الخدمات الإنسانية التي تقدمها المؤسسة، والدراسات الأكاديمية والتطبيقية في جميع المحاولات المتصلة بالإعاقة، والشيخوخة المبكرة، وأمراضها، ومعرفة أسبابها، والعمل على تلافيها، والحد من أثارها، بالتعاون مع الجامعات، والمعاهد المتخصصة في هذا المجال، وتقديم هذه البحوث والدراسات التي تعنى وتهتم بهذه الخدمات، إلى الجهات

اسم المصدر: عكاظ / ملحق خاص - مناسبات

التاريخ: 12-12-2009 رقم العدد: 15813 رقم الصفحة: 16 مسلسل: 28 رقم القصاصة: 5

الحكومية المعنية، والمؤسسات، والهيئات، والمنظمات الإقليمية، والدولية، التي تعنى وتهتم بهذه الخدمات، وإيجاد نوع من التعاون فيما بينها وبين المؤسسة، وتبادل المعلومات، والخبرات وإقامة علاقات علمية وتقنية فيما بينها.

ثانيا: مدينة الأمير سلطان للخدمات الإنسانية

افتتح هذه المدينة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (عندما كان وليا للعهد) يوم ٢٤ شعبان من عام ١٤٢٣هـ (٣٠ أكتوبر ٢٠٠٢م) سائلا الله أن تكون لخدمة الإسلام، والمسلمين والشعب السعودي (٧)، وتقع المدينة شمالي العاصمة السعودية (الرياض) على مساحة قدرها (١,٢٠٠,٠٠٠) متر مربع، وتختص بالتأهيل عبر برامج مصممة خصيصا لإعادة المريض، إلى حالته الطبيعية قدر المستطاع، والاعتماد على نفسه، ودمجه في المجتمع السعودي.

بينما أوضح الأمير فيصل بن سلطان بن عبد العزيز أن المدينة باكورة أعمال مؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية، التي أسسها سموه، وهو ينفق عليها، ويرأس مجلس أمنائها(٨).

تجهيزات المدينة ومكوناتها

تضم مدينة الأمير سلطان للخدمات الإنسانية:(٩)

١ ـ مركزا متكاملا للفحوص الطبية، والمخبرية، والإشعاعية.

٢ ـ (١٠) غرف عمليات كبرى.

٣ ـ (٨) غرف عمليات صغرى.

٤ ـ مركزا للتأهيل الطبي يحتوي على (٢٥٠) سريرا.

٥ ـ مركزا آخر للتأهيل الطبي لكبار السن (المسنين) يحتوي على (١٥٠) سريرا.

٦ ـ مركزا لتنمية الطفل، يستوعب (١٥٠) طفلا في وقت واحد، من عمر الولادة إلى السادسة، وهدفه الرئيس: التدخل المبكر لمساعدة الأطفال الذين لديهم بعض الإعاقات.

٧ ـ (١٠) بيوت انتقالية الهدف منها: أن يعيش الإنسان فيها من أسبوع إلى أسبوعين، ليتعلم كيف يخدم نفسه ما أمكن، في ظل ظروفه الصحية الجديدة، فضلا عن تدريب ذويه لمساعدته إذا لزم الأمر.

٨ ـ عيادات خارجية تشمل جميع التخصصات الطبية.

٩ ـ مركزا لجراحة اليوم الواحد.

١٠ ـ مباني للخدمات المساندة مثل: مبنى الإدارة وقاعة المؤتمرات وصالة النشاط الرياضي.

١١ ـ تقدم المدينة أكثر الخدمات إلحاحا وحاجة لذوي الاحتياجات الخاصة، والمرضى الذي يمكنهم الاستفادة من إعادة التأهيل، حيث تركز المدينة على تلبية الحاجات لمختلف حالات: العجز، والمرض، بهدف إعادة المريض إلى المجتمع بأعلى مستوى عملي، وقدرة ذاتية.

١٢ ـ تنقسم خدمات المدينة إلى قسمين رئيسيين: الأول: الخدمات الرئيسية التي تقدم من خلال (٥) برامج متخصصة هي: برنامج إصابات العمود الفقري، وبرنامج الإصابات الدماغية، وبرنامج تأهيل مبتوري الأطراف، وبرنامج تأهيل الأطفال والتدخل المبكر، والقسم الأخير يوفر جميع الأقسام والخدمات التي يحتاجها المرضى الخاضعون للتأهيل.

١٣ ـ خدمات العيادات الخارجية، وهي خدمات إضافية لمرضى التأهيل المنومين، ولكل من يرغب الاستفادة من العيادات الخارجية، حيث يمكن وصفها بمستشفى كامل الخدمات والتخصصات منها: أمراض القلب، والعيون، وأمراض الجهاز التنفسي، وطب الأسنان، والجراحة العامة، والطب النفسي، والأمراض الباطنية، وأمراض الغدد الصماء، والأعصاب والأطفال وجراحة التجميل، والمسالك البولية، وتقويم العظام، والكلى، والطب التأهيلي، والشيخوخة، والأمراض المعدية، والطب العام، كما تضم: عيادة الليزك، وتصحيح النظر، وعيادة التحكم في الألم، وبرنامج الفحص الشامل، وبرنامج الفحص ما قبل الزواج وعيادة الأسنان.

١٤ ـ تضم المدينة مقر الصندوق الخيري الذي أنشأه الأمير سلطان بن عبد العزيز، لدعم المرضى المحتاجين، وذوي الحاجات الخاصة، الذين لا يستطعون تحمل تكاليف العلاج، والحث على التبرع له، وتزويد كل متبرع للصندوق، بالكيفية التي صرف فيها تبرعه، والأشخاص الذين استفادوا منه.

الخلاصة

أخلص في النهاية إلى أن تفكير الأمير سلطان بن عبد العزيز يشمل: الأمور السياسية، والقضايا الاجتماعية، والمشروعات الخيرية الإنسانية، والإدارة، وما قدمت هنا ما هو سوى نماذج منها تؤكد سلامة تفكير، ووضوح رؤيته، وقيام تفكيره على أسس: حماية الإنسان، واتخاذ المشروعات الخيرية سبيلا لهذه الحماية بالإضافة إلى تفكيره السياسي الناضج، وفهمه العميق لقضايا مجتمعه وأمته، وإدراك أبعادها، وتأثيراتها الإيجابية والسلبية، وهو تفكير مقتبس من والده الملك عبد العزيز، ومستمد ممن خلفه من أبنائه: سعود وفيصل وخالد وفهد ـ رحمهم الله ـ وفكر قائد الإصلاحات الأساسية، وصاحب مبادرة الحوار الوطني (الملك عبد الله بن عبد العزيز).

اسم المصدر: عكاظ / ملحق خاص - مناسبات

التاريـــخ: 12-12-2009 رقم العـدد: 15813 رقم الصفحة: 16 مسلسـل: 28 رقم القصاصة: 6